مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

أشهر التفاسير والمفسرين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (دراسة وصفية لمناهج المفسرين)

دين علي عبد الله ناشر[1] – بلّه آدم أحمد الوحيدو[2]

المستخلص:

إن مشكلة البحث تتمثل في معرفة التفاسير والمفسرون الذين برزوا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ويهدف البحث إلى معرفة أشهر علماء التفسير فيه، ونشر نبذة عنهم وعن تفاسيرهم، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي في سيرة المفسرين وتفاسيرهم، حيث بدأ بتعريف التفسير والمفسر وشروطه وآدابه وأشهر التفاسير والمفسرين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وقد توصل الباحث إلى أن أبرز المفسرين هم: ابن عجيبة صاحب كتاب: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المتوفى سنة (1224هـ) وكذلك المفسر محمد ثناء الله المظهري صاحب كتاب: (التفسير المظهري) المتوفى سنة (1225هـ)، وكذلك الإمام الشوكاني صاحب كتاب: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) المتوفى: (1250هـ) وأوصى الباحث طلاب الدراسات العليا في مجال التفسير وعلوم القرآن إلى اتخاذ كتاب الله ميداناً لبحوثهم ودراساتهم وإقامة دراسات تفسيرية لكل عصر من العصور وإبراز معالمها وتمييز صحيحها من سقيمها وإظهار ذلك للأمة.

ABSTRACT:

The research problem is presented in identifying the interpretations and interpreters that emerged in the first half of thirteenth century AH. and the research aims at identifying the most famous scholars of interpretation in، and publishing a brief account about them and their interpretations. The researcher used the inductive، descriptive and analytical approach in the biographies and interpretations of the interpreters، as he began to define the interpretation and the interpreter، his conditions and morals، and the most famous interpretations and interpreters in the first half of The thirteenth century AH. The researcher concluded that the most prominent interpreter are: IbnAjeeba، The writer of the book: (AlbahrALmadeed FI Tafseer Al-Qur'an Almajeed) who was died in 1224 AH، Likewise، the interpreter Mohammad Thanaa Allah Al-madhhri، The writer of the book: (Al-Tafseer Al-madhhri) who was died in 1225 A.H. Likewise، the interpreter Al'imamAlshuwkani the writer of the book: (AfatehAlqadirAljamiaBaynFanniAlriwwayahWaddirayahMin EilmAltfseer) who was died in 1250 A.H. the researcher recommended tudents of postgraduate and higher studies in the domain of interpretation and holy Qur'an sciences to take into account the holy Qur'an as a subject for studies and researchers and conduct interpretation studies for every Islamic ages and differentiating between the correct and the incorrect of the interpretations and reflecting that to the Islamic nation.

الكلمات المفتاحية:

التفسير – المفسر الناقل – المفسر المتخيَّر

1- كلية الدراسات العليا- جامعة الجزيرة Deenalshoaiby@gmail.com

2- جامعة الجزيرة- كلية التربية

المقـدمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن القرآن الكريم نورٌ وهدى ينير للناس مسالك الحياة وظلمات الطريق، قال تعالى:﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، فكتاب الله العظيم يُعدُّ كنزاً ثميناً، وثروة علمية غزيرة بما حواه من علم واسع، وفوائد جمة، فاشتهر في كل زمانٍ علماء أجلّاء، ألّفوا التفاسير الكثيرة والعلوم العظيمة، التي تُعدُّ كنزاً عظيماً في تفسير القرآن الكريم، وثروة علمية غزيرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بما حوته من علم واسع، وفوائد جمة.

وإن مشكلة البحث تكمن في تعريف التفسير والمفسر وذكر شروطه وآدابه، وما هي التفاسير التي برزت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري؟وما هي مناهجها واتجاهاتها؟

وتتمثل أهمية البحث في كون الكتابة عن التفسير ومؤلفاته واتجاهاته في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري رغم مضي عقود وقرون من الزمن إلا أنها مازالت بكراً يستحق أن تصرف إليها الأذهان وتتسابق عليه الأقلام، فيُقوّم المعوجّ ويُرد السقيم، ويُقبل السليم.

الدراسات السابقة:

ومن خلال البحث والاطلاع فقد وجد الباحث من الكتب العلمية والرسائل الأكاديمية التي لها صلة بالموضوع لكن قد يكون بعضها عام مثل كتاب: الذهبي، محمد (التفسير والمفسرون) مكتبة وهبة، القاهرة. ومنها ما كان محدد بفترة زمنية معينة مثل كتاب:الرومي، فهد(1997م)(اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) رسالة دكتوراه، مؤسسة الرسالة. حيدرا، عثمان(2010م) المدرسة التمبكتية في التفسير وعلوم القرآن من القرن (6هـ – 13هـ إلى القرن 12هـ – 19م) دراسة منهجية ووصفية، المغرب، تطوان، جامعة القرويين، كلية أصول الدين.

ورغم هذه الدراسات السابقة إلا أن ذلك لم يُعْطِ القرن الثالث عشر حقه وخصوصيته من البحث والدراسة التفصيلية الخاصة به، ولم تستوعب جميع المفسرين، فلما كان هذا البحث مقتصر على هذا القرن فقدأعطاهم ظهوراً أكثر.

وإن هذه الورقة العلمية تهدف إلى معرفة أشهر علماء التفسير في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ونشر نبذة عنهم ليتعرف عليهم القارئ، ويبقى أثرهم الطيب وذكرهم الحسن، والاستفادة من علمهم الغزير، وفوائدهم الجمة واظهار أكثر قدر من أسماء المؤلفات في التفسير مع إعطاء نبذة مختصرة عن المُؤلف وطريقة تأليفه...

أولاً: المفسر تعريفه وشروطه وآدابه:

إن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دام هناك عقل يتفكر، وقلب يتذكر، فنتحدث عن المفسر وشروطه وآدابه، نتناول ذلك بكلمات موجزة.

تعريف التفسير والمفسِّر لغةً واصطلاحاً:

التفسير لغة: "الإيضاح والتبيين، من الفسر وهو الإبانة وكشف المغطى"[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3]أي بياناً وتفصيلاً[4].

([1]) سورة الشورى، الآية 52.

([2]) الفيروزآبادى، محمد (2005م) القاموس المحيط، تحقيق: محمد العرقسُوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ص456.

([3]) سورة الفرقان، الآية 33.

([4]) النيسابوري، أحمد (2002م) الكشف والبيان، تحقيق: ابن عشور، ط1، أبي محمد ، ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص132.

التفسير اصطلاحاً: عرّفه الزركشي بقوله: "هو علم يُفهم بـه كتـاب الله المنـزّل علـى نبيـه محمد ﷺ وبيـان معانيـه واستخراج أحكامه وحكمه"[5].

المُفَسِّر لغةً: من (فَسّر): فعل فسّر، يُفَسِّر، تفسيراً، فهو مُفَسِّر، والمفعول مُفَسَّر.

فسّر الأمر: بمعنى (وضّحه، شرحه، أبانه، وضعه في صورة أبسط)[6].

المُفَسَّر اصطلاحاً هو: "من له أهلية تامةٌ يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة البشرية، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُملاً كثيرةً من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عملياً بتعليم أو تأليف"[7].

لم يحظ مصطلح المُفَسِّرِ من علماء القرآن والتفسير بتعريفٍكما عرَّفوا مصطلح التفسير، ويعتبر كتاب السيوطي (طبقات المفسرين) أول كتاب يجمع تراجمهم في كتاب مستقلٍ، وقد قسم المفسرين إلى أنواع:

النوع الأول: المفسرون من السلف: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

النوع الثاني: المفسرون من المحدِّثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مسندة مُورداً فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد.

النوع الثالث: بقية المفسرين من علماء السنة، الذين ضموا إلى التفسيرِ التأويلَ، والكلامَ على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك، ثمَّ قال: "والذي يستحق أن يسمى من هؤلاء، القسم الأول، ثم الثاني، على أنَّ الأكثرَ في هذا القسم نَقَلَةٌ، وأما الثالث فمؤولة، ولهذا يسمون كتبهم غالباً بالتأويل"[8].

النوع الرابع: من صنف تفسيراً من المبتدعة، كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم... ولا يعني إخراج فلان من العلماء المتقدمين أو المتأخرين من عِدادِ المفسرينَ نقصاً في حقِّه، أو حطًّاً من منزلته العلمية، لا يعني ذلك أبداً، وعدمُ ورودِ هذه المزيَّةِ الخاصةِ لا يعني انتفاء المزيةِ العامة، وكونه من العلماء، ولو سبرت المفسرين المذكورين في كتب طبقات المفسرين، واطَّلعت على ما دوَّنوه من منجزاتهم في التفسير لظهر لك أنهم لا يخرجون عن أربعة أنواع[9]:

الأول: طبقة المجتهدين الأُوَل: وهم مفسرو السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعينكابن مسعود، وابن عباس، ومن المفسرين من جيل التابعين: أبو العالية، وسعيد بن جبير، ومجاهد وغيرهم.

الثاني: المفسر الناقل: وهم جملة من المحدِّثين وغيرهم ممن لم يكن لهم إلا النقل لتفسير من سبقهم، ولم يكن لهم فيه أيَّ رأي واجتهاد، ومنهم: عبد الرزاق الصنعاني.

الثالث: المفسر الناقد: وهو الذي يجمع مرويات المفسرين ويرجح بينها، وإمامُ هذه الطريقة هو ابنُ جرير الطبري[10].

الرابع: المفسر المتخيِّر قولاً واحداً: وهو أن يعمد المفسر إلى أقوال التفسير فيختار منها قولاً دون غيره، ولا يتعرَّض لنقد ما سواه، كتفسير الجلالين.

وأخيراً... بعد هذا العرض لهذه المصطلحات، أرجو أن لا يكون فيها شيء من التحامل والتكلُّف، وإنما الغرض بيانها؛ لأنها تدعو إلى الانضباط في المعلومات، وتجعل

([5]) الزركشي، بدر الدين(1957م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ص13.

([6]) مختار، أحمد (1957م) معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط1، عالم الكتب، مادة (3772 – ف س ر).

([7]) الحربي، حسين (2010م) مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ط1 ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص9.

([8]) الداوودي، محمد، طبقات المفسرين للداوودي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص10.

([9]) الحربي، حسين، مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص9.

([10]) الطيار، مساعد (1427هـ) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص210.

المرء يميّز بين المتشابه منها، فلا تتداخل عليه المعلومات، ويعرف بها كثيراً من الزيادات التي لا تدخل في المصطلح، ويبين له متى دخلت، وكيف دخلت، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

شروط المفسر:

صيانة للكتاب العزيز عن العبث في معانيه يشترط في المتكلم فيه (المفسر) شروط، هي صفات لازمة لا يحل التعرض لتفسير القرآن بدونها وهي على سبيل الإيجاز كالتالي:

الشرط الأول: صحة الاعتقاد وسلامة المنهج.

والعلة في هذا أن فساد الاعتقاد والمنهج يصير بصاحبه إلى تحريف دلالة القرآن إلى ما يعتقد وينهج، وقد وقع ذلك من طوائف ممن تصدى للتفسير ولم يكونوا على الاستقامة، فقالوا على الله غير الحق وحرفوا الكلم عن دلالته، ككلامهم في تحريف معاني الصفات، والوعد والوعيد، وغيرها من آيات العقائد والإيمان،فلذلك يقول السيوطي: "اعلم أن من شرطه – أي المفسر – صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه – أي مطعونا – لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين؟ ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى؟! ولأنه لا يؤتمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغرّ الناس بليّه وخداعة، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن من كان متهماً بهوى لا يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية – فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكت؛ ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدي"[11].

الشرط الثاني: صحة المقصد والتجرد للحق والسلامة من الهوى.

وهذا شبيه في أثره للذي قبله ومتمم له، والإخلاص والصدق قائد لصاحبه إلى الهدى، وصحة المقصد من أعظم أسباب التوفيق، وفهم القرآن توفيق ومنحة، كما قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[12].

أما الرياء والمباهاة في العلم فممحقة لبركته في الدنيا، ووبال على صاحبه في الآخرة، نعوذ بالله من الخذلان، فقد جاء عن النبي ﷺ قوله: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، فهو في النار»[13].

الشرط الثالث: التحري والتثبت في الفهم.

وأحسن ما يعين عليه ويرشد إليه اتباع الطرق الشرعية لفهم القرآن، وذلك وفق المنهجية التي ستأتي.

الشرط الرابع: الدقة في النقل، واعتماد القوي الثابت.

وذلك في نقل اللغة، وفي كل ما يعتمد على الإسناد من الحديث في القراءات والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والآثار عن الصحابة ومن بعدهم، وفي الكلام المعزو للعلماء، خاصة علماء السلف، فإن الحكايات الواهية وما لا أصل له كثير في ذلك، وإلى هذا يشير الإمام أحمد بن حنبل في عبارة جامعة، قال: "ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير"[14].

فينبغي ألا يتصدى للتفسير من لم يحط بمجمل الشروط التي حددها العلماء لمن يتصدى للبيان عن مراد الله تعالى.

الشرط الخامس: ألا يخوض في التفسير الاجتهادي حتى يتم له النظر والإثبات في التفسير بالمأثور على النحو التالي:

أ- أن يطلب التفسير من القرآن نفسه.

([11]) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص200.

([12]) البخاري، محمد (1422هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط1، حديث رقم 71، ج1، دار طوق النجاة، ص25.

([13]) ابن ماجه، محمد (2009م) سنن ابن ماجه، تحقيق: مجموعة مؤلفين، ط1، ج1، حديث رقم 260، دار الرسالة العالمية ، ص175.

([14]) الخطيب، أحمد (1403هـ) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان،ج2 ، مكتبة المعارف، الرياض، ص162.

ب- ثم إن لم يجد، طلب التفسير من السنّة.

ج- ثم إن لم يجد، طلب التفسير في أقوال الصحابة.

د- ثم إن لم يجد: اجتهد في تفسير آيات الذكر الحكيم بما حصّل من الأدوات الضرورية واللازمة لكل مفسر وهي تحصيل العلوم المعينة على التفسير والبيان وأهمها[15]:

1- أن يكون المفسر عالماً بالحديث.

2- أن يكون عالماً باللغة متبحراً فيها.

3- أن يكون عالماً بالصرف.

4- أن يكون عالماً بالنحو.

5_ أن يكون عالماً بالاشتقاق.

6- أن يكون عالماً بالبلاغة بأقسامها الثلاثة (المعاني – والبيان – والبديع).

7- أن يكون عالماً بالقراءات.

8- أن يكون عالماً بأصول الدين وأمور العقيدة.

9- أن يكون عالماً بأصول الفقه إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام الشرعية.

10- أن يكون عالماً بأسباب النزول.

11- أن يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ.

12- أن يستجمع ولو طرفاً من العلوم الكونية كالطب والهندسة وغيره.

وهذا يعني أن المفسر لكتاب الله تعالى ينبغي أن يكون موسوعة علمية حاضرة في كافة المجالات الثقافية والمعرفية، وقد كان أسلافنا فعلاً موسوعات في كافة الفروع، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل شرف هذا العلم وعظمة مكانته[16].

آداب المفسّر:

بعد أن عرفنا شروط المفسر، نتطرق إلى آداب المفسر للقرآن الكريم وهي كثيرة، نختصرها فيما يلي:

1-حسن النية وصحة المقصد.

2- حسن الخُلُق كالتواضع ولين الجانب: فحقيقة العلم أنه حصن حصين يحول بين العالِم والانتفاع بعلمه.

3- الامتثال والعمل.

4- تحري الصدق والضبط في النقل: فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللَّحن.

5- عزة النفس: فمن حق العالِم أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف.

6- الجهر بالحق: فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

7- حسن السمت: الذي يُكسب المفسِّر هيبة ووقاراً في مظهره العام وجلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف.

8- الأناة والروية: فلا يسرد الكلام سرداً بل يفصِّله ويُبِين عن مخارج حروفه.

9- تقديم من هو أولى منه: فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء، ولا يغمطهم حقهم بعد الممات، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم.

10- مداومة ذكر الله تعالى: قال القرطبي – رحمه الله " –وينبغي له – أي حامل القرآن ومفسره – أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتصماً، وللموت ذاكراً وله مستعداً، وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفو ربه)[17].

وبالجملة فيشترط في المفسر كل أدب يؤهله لحمل كتاب الله تعالى وفهمه وتوضيحه للناس، وإن هو أخل بتلك الآداب أزرى بنفسه وبعلمه فقلّ أن يفهم الفهم التام، وإن فهم لم يقبل منه؛ لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه.

([15]) السيوطي، عبد الرحمن (1974م) الإتقان في علوم القرآن، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص200.

([16]) أحمد، محمد (2005م) نفحات من علوم القرآن، ط2، دار السلام، القاهرة ، ص125.

([17]) القرطبي، محمد (1964م) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تحقيق: البردوني أحمد، ط2، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص20.

11- حسن الإعداد وطريقة الأداء: كأن يبدأ بذكر سبب النزول، ثم معاني المفردات، وشرح التراكيب، وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى، ثم يبيّن المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره، ثم يأتي إلى الاستنباط والأحكام[18].

فهذه هي شروط المفسر وآدابه وأساليبه التي يجب عليه القيام بها أثناء تفسيره لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا بد لأي بحث علمي من توفر شروط نظرية تطلب في الباحث الذي يريد خوض غمار الكشف عن الحقيقة وتجليتها.

ثانياً: أشهر التفاسير والمفسرين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري

لقد بذل السابقون الجهود في تفسير القرآن، فمنهم من اهتم بالحديث والأثر، ومنهم من اهتم بالاجتهاد بناءً على الحديث والأثر، ومنهم من اهتم بالبيان والبلاغة، ومنهم من اهتم بالنحو، ومنهم من اهتم بمجادلة أهل العقائد الهالكة، ومنهم من اهتم بالأحكام، إلى غير ذلك من الاهتمامات، كل منهم اهتم بما يجد الحاجة إليه، أو يجد أنه بارع فيه، ولا بد من العلم أن كل أهل عصر صنّفوا من التفاسير ما يناسب عصورهم في الأسلوب أو المحتوى، وأرى من المستحسن أن أمر بك سريعاً على أهم كتب التفسير التي أُلّفت منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري حتى نهايته؛ لغرض التعريف بها وبمؤلفيها في سطور موجزة، سواءً من ذلك كتب التفاسير بالمأثور أو كتب التفاسير بالرأي، و كما سترى فإن هذا القرن حافلاً بالمؤلفات ومنها التفاسير، وكان آخرها تفسير الكوكباني «تيسير المنان تفسير القرآن» فقد ألّفه صاحبه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وإليك أهم التفاسير في هذا القرن:

1. **تفسير ابن عجيبة**

التعريف بالمفسِّر:

هو: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، الحسني الأنجري، مفسّر صوفي مشارك من أهل المغرب، وُلد في مدشر اعجيبش في مدينة تطوان المغربية عام (1161هـ - 1758م) واشتغل بتعلم القرآن الكريم والطاعات من صلاة وذكر، منذ طفولته المبكرة، حفظ القرطبية في الفقه وهو يرعى الغنم من غير أن يعرف اسمها، كذلك الأجرومية في اللغة، ومتن ابن عاشر، أتم حفظ القرآن الكريم على يد جده المهدي، وشرع في طلب العلم وعمره تسع سنوات، فأخذ العلم من مشائخ عدة منهم: الشيخ عبد الرحمن الكتامي، والشيخ العربي الزوادي، والفقيه محمد أشم، وفي عام (1181هـ) قَدِم مدينة تطوان بالمغرب، حيث واصل طلب العلم ولازم الشيخ أحمد الرشا، والشيخ عبد الكريم بن قريش وغيرهما، ودرس في فاس[19] على الشيخ التاودي بن سودة والشيخ محمد بنيس، دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) وتوفي -رحمه الله- سنة (1224هـ - 1809م) له مؤلفات كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - شرح القصيدة المنفرجة - شرح صلوات ابن مشيش - تبصرة الطائفة الزرقاوية - الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الاصلية - الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية: جمع فيه بين النحو والتصوف - فهرسة لأشياخه - إيقاظ الهمم في شرح الحكم) [20].

([18]) القطان مناع (2000م) مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، ص342. خلف، عبد الجواد(د.ت) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي، القاهرة ، ص138.

([19]) فاس: وهي قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس. عبد الله، محمد (1980م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ص434.

([20]) الزركلي، خير الدين (2002م) الأعلام، ط15، ج6، دار العلم للملايين ، ص257. نويهض، عادل (1988م) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، ج1، بيروت، لبنان، ص77.

التعريف بالتفسير:

(البحر المديد في تفسير القرآن المجيد): لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي: تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان/ د. حسن عباس زكي، القاهرة – مصر، 1419هـ.

وتفسيره هذا عبارة عن مخطوطة في أربعة مجلدات ضخام، بدأ بطبعه وصدر جزء منه (أزهار البستان): بالخزانة الزيدانية بمكناس[21]، لم يتمه، في طبقات الأعيان المالكية، ومنه مخطوطة في خزانة الرباط (286 مستدرك) مصورة في معهد المخطوطات (1352 تاريخ) وقد طُبع قديماً بدار الثناء، للطباعة بمصر عام (1373هـ) جزء من أوله ينتهي عند قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[22]والكتاب تحت الطبع الآن في دار الكتب المصرية، وقد اعتمدت في هذه الدراسة الجزء المطبوع[23].

وقد ذكر المصنف السبب الباعث له على تأليف هذا التفسير، ومما قاله في مقدمته: "...فإن علم تفسير القرآن من أجلِّ العلوم، وأفضل ما ينفق فيه نتائج الأفكار وقرائح الفهوم، ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير إلا العالم النحرير، الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة عربيةً وتصريفاً، ولغةً وبياناً وفقهاً وحديثاً وتاريخاً، يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال، ثم غاص في علوم التصوف ذوقًا وحالاً ومقالاً، بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم، واعلم أن القرآن العظيم له ظاهر لأهل الظاهر، وباطن لأهل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن، ولا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم، ولا يصح ذكره إلا بعد تقدير الظاهر ثم يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة، فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار، فليسلم ولا يبادر بالإنكار، فإن علم الأذواق من وراء طور العقول، ولا يدرك بتواتر النقول، قال في لطائف المنن: اعلم أن تفسير هذه الطائفة –يعني الصوفية– لكلام الله وكلام رسوله، بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له عليه في حرف اللسان وثم أفهام باطنه تُفهم من الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء أنه ﷺ قال: «لكل آية ظاهر وباطن، وحد ومطلع»[24] فلا يصدنك عن تلقى المعاني الغريبة منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله ﷻ وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لكلام الله لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا، وهم لا يقولون ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها ومراداتها وموضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم"[25].

وقال في سبب تأليفه: "...هذا وقد ندبني شيخي العارف الرباني سيدي محمد البوزيدي الحسني، وكذلك شيخي القطب الجامع شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي أن أضع تفسيراً يكون جامعاً بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهما وأسعفت طلباتهما، رجاء أن يعم به الانتفاع، ويكون ممتعاً للقلوب والأسماع، مقدماً في كل آية ما يتعلق بمبهم اللغة العربية ثم بمعاني الألفاظ الظاهرة، ثم بالإشارة الباطنة متوسطاً في ذلك بين الإطناب والاختصار..."[26].

([21]) مكناس: هي مدينة مغربية مشهورة بكثرة الزيتون. المغربي، ابن سعيد، الجغرافيا، موقع الوراق، ص34.

([22]) سورة آل عمران، الآية 190.

([23]) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ، ص257 . نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مرجع سابق، ص77.

([24]) ابن حبان، محمد (1993م) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط2، ج1، تحقيق: الأرنؤوط، شعيب، حديث رقم/ 2989، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص276.

([25]) ابن عجيبة، أحمد (2002م) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد القرشي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص49.

([26]) المرجع السابق، ص50.

ومن المصادر التي يحيل عليها من التفاسير تفسير الفاتحة الكبير له، وينقل عن الرازي، والبيضاوي، والواحدي، والإقليشي، وابن جزي، والزمخشري، وابن عطية، والثعلبي، والسيوطي، كما ينقل عن الغزالي وغيرهم.

المنهج العام للمؤلف والجانب التغليبي على منهج تفسيره:

إن تفسير ابن عجيبة كتاب عظيم في تفسير القرآن الكريم، وهو كتاب جامع؛ لاعتماد مؤلفه على كتب كثيرة من المؤلفين السابقين كالبيضاوي، وأبي السعود، والثعلبي والنسفي وغيرهم، وترجع أهمية الكتاب أيضاً إلى طريقة شرحه للسور، حيث يبدأ ببيان مكان نزول السورة، ثم يذكر مناسبة السورة لما قبلها، وفضائلها ومضمونها الإجمالي، ثم يشرع في تفسير الآيات التي اعتمد فيها على تفسير القرآن بالقرآن، وذكر القراءات المختلفة في الآية، والاعتماد على السنة الشريفة والآثار في تفسيره للآية، وعنايته بالتفسيرات اللغوية والنحو والإعراب، والعناية بالأحكام الفقهية، والتفسير الإشاري[27].

وأما الجانب التغليبي على منهج تفسيره: فهو منهج التفسير الصوفي الإشاري الذي لا يغفل التفسير بالظاهر، وطريقة مؤلفه فيه أنه يقسم السورة إلى مقاطع ثم يقوم بتفسير كل مقطع حسب ما يقتضيه الظاهر ويتبع ذلك بالتفسير الإشاري.

القيمة العلمية لهذا التفسير:

إن لتفسير ابن عجيبة –رحمه الله– قيمة علمية عظيمة؛ من أهمها:

1- اعتماد المؤلف على كتب كثيرة من كتب المؤلفين السابقين كالبيضاوي، وأبي السعود، والثعلبي والنسفي وغيرهم.

2- طريقة شرحه للآيات والسور حيث يبدأ ببيان مكان نزول السورة، ومناسبة السورة لما قبلها، وفضائلها ومضمونها الإجمالي، ثم يشرع في تفسير الآيات الذي اعتمد فيه على تفسير القرآن بالقرآن، والقراءات المختلفة في الآية، والسنة والآثار في تفسيره للآية والآيات، وعنايته باللغة والنحو والإعراب، والأحكام الفقهية، والتفسير الاشاري.

3- جمعه بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، دون إنكار الظاهر.

4- توسطه بين الإطناب والإيجاز في أسلوب عرضه الشيق، مع تنقله بين علوم القرآن وأساليب اللغة والقراءات والآثار، بطريقة لا يملُّ من قارئها.

5- كما تتجلى لنا قيمة الكتاب بالمسائل النحوية والصرفية والمعجمية، فهو يحاول أن يعلل ويدلل ويستشهد ويبسط القول في الأوجه الإعرابية المختلفة، كما أنه يحاول في كثير من الأحيان الإحالة إلى أصحاب تلك الأقوال ونسبتها إليهم مما يزيد مصداقية إلى تلك الأقوال، وغيرها من الميزات.

وتلخص من النقل السابق أن منهج المؤلف في كتابه هوبدايته ببيان مكان نزول السورة من حيث مكيتها أو مدنيتها، ثم يذكر مناسبة السورة لما قبلها، وفضائلها ومضمونها الإجمالي، ثم يشرع في تفسير آيات القرآن بالقرآن والسنة الشريفة والآثار، ويذكر القراءات المختلفة في الآية، معتنياً بالتفسيرات اللغوية والنحو والإعراب، والأحكام الفقهية، ويغلب على تفسيره الجانب الصوفي الإشاري الذي لا يُغْفِل التفسير الظاهر، وتقسيمه السورة إلى مقاطع، ثم يقوم بتفسير كل مقطع حسب ما يقتضيه الظاهر ويتبع ذلك بالتفسير الإشاري.

2. تفسير المظهري:

التعريف بالمفسر:

([27]) الكعبي، محمد (2002م) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ط1، ج1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص19. علي، محمد (2002م) منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد المسير، ط1، ج2، دار النهضة، مصر ، ص870.

هو: محمد ثناء الله الباني بتي النقشبندي الهندي، فقيه حنفي، مفسر، من أهل الهند، الشيخ الأكمل، علم الهدى، أحد العلماء الراسخين في العلم، كان من ذرية الشيخ جلال الدين العثماني، يرجع نسبه إليه بإثنتي عشرة واسطة، وينتهي إلى عثمان بن عفان ﷺ ولد بـ(باني بات) ونشأ بها فحفظ القرآن وعمره سبع سنين، واشتغل بعده بأخذ العلوم النقلية والعقلية فتبحر فيها، ثم ارتحل إلى الدهلى[28]، فلزم العلامة، البحر الفهامة مولانا شاه ولي الله المحدث الدهلوي، فسمع الحديث منه بتمامه وكماله، وتفقه فيه وأخذ الطريقة العالية النقشبندية أولاً من شيخ الشيوخ، مولانا خواجه محمد عابد السنامي، ثم انسلك بخدمة الشهيد مولانا الشيخ ميرزا جانجانان مظهر، وأخذ منه الطريقة الأحمدية بكماله، ثم رجع إلى وطنه وأقام به وأفنى عمره الشريف في نشر العلوم، وفصل الخصومات، وإفتاء الأسئلة، وألّف كتباً عديدة منها (التفسير المظهري – ما لا بد منه – أحكام و مسائل فقه حنفي – السيف المسلول – إرشاد الطالبين في السلوك – تذكرة الموتى والقبور – تذكرة المعاد – حقيقة الإسلام) وغيرها، تجاوز عددها الثلاثين مؤلَفاً، وقرأ العربية أياماً على أساتذة بلدته، ثم دخل دهلي وتفقّه على يد الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي وأخذ الحديث عنه، وقرأ فاتحة الفراغ وله ثماني عشرة سنة ثم لازم الشيخ محمد عابد السنامي، وأخذ عنه الطريقة، وبلغ في صحبته إلى فناء القلب، ثم لازم الشيخ جانجانان العلوي الدهلوي، وبلغ إلى آخر مقامات الطريقة المجددية، وكان الشيخ المذكور يحبه حباً مفرطاً، ولقبه بعلم الهدى، ويقول: إن مهابته تغشى قلبي لصلاحه وتقواه وديانته، وإنه مروج للشريعة، منور للطريقة، متصف بالصفات الملكوتية (تعظمه الملائكة) ويقول: إذا سألني الله عن هدية أقدمها إلى جنابه قدمت ثناء الله، ولقبه الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (ببيهقي الوقت) نظراً إلى تبحره في الفقه والحديث... وقال الشيخ محسن الترهتي في اليانع الجني: إنه كان فقيهاً أصولياً زاهداً مجتهداً، له اختيارات في المذهب، ومصنفات عظيمة في الفقه والتفسير والزهد، وكان شيخه يفتخر به، ولم يزل مقبلاً متوجهاً الى الله وازدياداً في الخيرات الى ان أدركته المنية، فتوفي في غرة رجب سنة (1225هـ)[29].

التعريف بالتفسير:

(التفسير المظهري): لمحمد ثناء الله المظهري المتوفى سنة (1224هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، 1412هـ.

يقول الدكتورعُزَيْر أحمد القاسمي:"لقد طبع هذا التفسير عدة طبعات في الهند وباكستان، وترجم إلى اللغة الفارسية والأردية، والتفسير منتشر في الأوساط العلمية في الهند وباكستان، وبنجلاديش، يرجع إليه الأساتذة في تدريسهم لمادة التفسير... لقد عثرت على نسختين خطيتين للكتاب، واعتمدت عليهما وعلى المطبوع في التحقيق، وهذا وصف موجز للمخطوطتين والمطبوع:

النسخة الأولى: ورمزت لها بـ"د" وتوجد هذه النسخة في مكتبة الشيخ أبي الحسن زيد الفاروقي –رحمه الله ـ وهي تشتمل على ست مجلدات، مكتوبة بخط المؤلف.

النسخة الثانية: ورمزت لها بـ"ك" وتوجد هذه النسخة في مكتبة "مركز الأبحاث العربية والفارسية" بـ"طونك" بولاية راجستهان، وهي منقولة من نسخة المؤلف، ولم يكتب عليها اسم الناسخ، ولاتاريخ نسخها.

النسخة الثالثة: المطبوعة ورمزت لها بـ"ط" وهي مطبوعة في عشر مجلدات من"ندوة المصنفين"

([28]) دهلى: هي مدينة بشمال الهند.

([29]) الطالبي، عبد الحي (1999م) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ط1، ج7، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص942.

بـدلهي، والمكتبـة الرشـيدية بباكسـتان، ومتداولـة فـي المكتبـات"[30]، وهـذه النسـخة هـي التـي اعتـد عليهـا الباحث، في هذا البحث.

المنـهج العـام للمؤلـف والجانـب التغلـيبي علـى منـهج تفسيره:

لقد كان الإمام المظهري متضلّعاً بعلوم القرآن والحديث، والسـلوك والإحسـان، والفقـه والقـراءات، وقـد سـلك فـي تفسيره منهج الرعيل الأول من المفسرين أمثال الثعلبي وابن كثير في تفسير القرآن بالحديث، وآثار الصحابة والتابعين، ويتجلّى من خلال تفسيره أنه لم يكن مجرد ناقل، يجمع بين الغث والسمين، بل كان محدثاً صيرفياً ناقداً، ينقل في ثنايا تفسير الآية حديثاً، فيذكره بالسند، وإن وجد فيه علة تحدّث عنها مستشهداً بأقوال أئمة الجرح والتعديل، وكان له اطلاع واسع على أقوال أئمة القراءة المروية عنهم في ألفاظ الكتاب الحكيم، ومن دأبه في تفسيره أنه يسرد أقوال الأئمة ويستوعبها، ثم يرجح رأي الجمهور، وهي ميزة تفرّد بها تفسيره عن كتب التفسير للمتقدمين والمتأخرين، وقد جمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والرأي والتفسير الإشاري، وعلوم اللغة والقراءات، ومكية السور ومدنيتها، وأسباب النزول، والأحكام الفقهية، وذكره القصص والإسرائيليات...

ونجمل أبرز سمات منهجه بالقول "أن فيه لمحات تربوية عقدية تلفت النظر، منها أمثلة في التوحيد، واستدلاله على وجود الله، وحثه على التفكير في ربوبيته، وكلامه في صفات الكمال لله، ورده على الفرق الضالة، وأمثلة في الرسالة، وكلامه حول النبوة، وكلامه في حكمة اختصاص النبوة بالرجال من أهل القرى، وأمثلة في القضاء والقدر، وتحذيره من البحث عن القدر، بجانب نماذج أخرى لأبحاثه التي تتعلق بمعظم العقائد الإسلامية، والتي تستحق أن يقوم باحث بإخراجها من مواضعها في تفسيره، ومن ثَمَّ جمعها في كتاب مستقل، وأما مقالنا هذا فغيض من فيض"[31].

لقد أكثر القاضي -رحمه الله- النقل من تفسير "البيضاوي" و "الكشاف" بعزو وبدون عزو، وهما من كتب التفسير بالرأي ، كما أكثر النقول عن "البغوي" ولم يكن القاضي ينقل كلامهم معترفاً بكل ما يقولونه، بل علق على كثير من أقوالهم كمارد بعض الأقوال، وكان فقيهاً حنفياً مجتهداً يبسط الكلام في آيات الأحكام بسطاً، حيث لا يبقى عليها غبار، ثم إن كانت المسألة مختلفاً فيها بين الفقهاء، أيّد مذهب الإمام أبي حنيفة، -رحمه الله-.

وأما الجانب التغليبي على منهج تفسيره فهو جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الإشاري، فكان -رحمه الله- لا يهمل التصوف، بل يرى أن طريقة الإحسان والسلوك أنفع الوسائل لتزكية القلوب وتطهيرها،وأقواها لمعرفة الله – سبحانه- والتقرب إليه مع اتباع القرآن والسنة فيه، ولا يخفى على متصفّحِ تفسيرِه أنه تعرض لإثبات أهمية الطريقة والإحسان والسلوك في من كثير المواضع، مع انتقاده فيها أخطاء بعض الصوفية.

القيمة العلمية لهذا التفسير:

قال الشيخ أبوالحسن الندوي: "ومن الكتب التي اعتنى بها الأقطار الإسلامية، وعَدّوها من خيرة ما كتب في الموضوع، كتاب في التفسير للقاضي ثناء الله الباني بتي وهو"التفسير المظهري" ويعتبر من أفضل ما كتبه علماء

([30]) القاسمي، عُز يْر (2002م) منهج" الباني بتي" في تفسيره "التفسير المظهري"وتحقيق جزء منه، يبدأ من أول الكتاب إلى قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...) [سورة البقرة الآية: 188] (رسالة الدكتوراه)، ج1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص77.

([31]) آفريدي، محمد (2011م) لمحات التربية العقدية في تفسير المظهري القاضي ثناء الله الباني بتي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ص82.

المذهب الحنفي في التفسير في العهد الأخير"[32]، وتتمثل قيمته العلمية بالآتي:

1-اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

2-اعتناؤه بالرواية والدراية وخاصة في المسائل الفقهية.

3- اهتمامه بمسائل النحو والصرف والإعراب والقراءات.

4- اعتناؤه بالرد على الفرق المنحرفة أو الضالة كالمعتزلة، والخوارج، والجبرية، والقدرية، والمرجئة... وغيرها.

5- اهتمامه بذكر أقوال الأئمة في المسائل الفقهية، وترجيح الأقوال في ضوء الأدلة.

6- اعتناؤه بالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول.

7- اعتناؤه بالسياق القرآني في التفسير وهذه قاعدة من أهم قواعد التفسير، اعتمد عليها المفسرون، ورجحوا بها قولاً على قول، واعتمد عليها القاضي أيضاً في الترجيح بين الأقوال.

8- ومن المزايا الكبرى لتفسيره أنه زبدة نقول المتقدمين من المفسرين والمتأخرين منهم، حتى فاق في مواضع غير قليلة على "فتح القدير" للشوكاني في حسن اختياره للحديث وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المفسرين الكرام، -رحمهم الله تعالى.

3. تفسير الشوكاني

التعريف بالمفسر:

هو الإمام العلامة المجتهد، المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، المؤرخ، الأديب، علامة اليمن الكبير، شيخ الإسلام، ومفتي الأنام؛ ناصر السنة، وقامع البدعة، فريد دهره، وحافظ عصره، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، خاتمة الحفاظ بلا مراء، شيخ الرواية والسماع، القاضي أبو علي بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني.

وقد أوصل الشوكاني نسبه إلى سيدنا آدم عليه السلام عند ترجمته لوالده -رحمه الله- في البدر الطالع[33]، والشوكاني نسبة إلى هجرة شوكان،وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان[34]، والصنعاني[35] نسبة الى مدينة صنعاء، التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته في الهجرة[36].

ولد الشوكاني حسبما وجد بخط والده في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة، عام (1173هـ) بهجرة شوكان، حينما خرج أبواه أيام الخريف في رحلة إلى موطنهما الأصلي، ونشأ بصنعاء اليمن، وقد كانت إحدى العواصم التاريخية، فهي موطن الملوك، وقلعة العلماء التي يقصدها طلاب العلم طمعاً في لقيا العلماء والفقهاء[37].

تربى الشوكاني في بيت علم وفضل، فهو من أسرةٍ عرفت بالصلاح والتقوى والنجابة، وكان لها في اليمن منزلةً كبيرةً، فمنها علماء، وأدباء، ولكثير من أبنائها أيادي في الدعوة والإصلاح، والتدريس والإفتاء، وعلى رأسهم والده العلامة الزاهد علي بن محمد الشوكاني -رحمه

([32]) القاسمي، منهج" الباني بتي" في تفسيره " ج1، التفسير المظهري، ص209.

([33]) الشوكاني، محمد(د.ت) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، دار المعرفة، بيروت، ص478- 485.

([34]) خولان: بفتح أوله وتسكين ثانيه، وآخره نون، مخلاف من مخاليف اليمن منسوب إلى خولان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ.

([35]) الصنعاني: بفتح الصاد المهملة، وسكون النون، وفتح العين المهملة، والنون بعد الألف، هذه النسبة صنعاء عاصمة اليمن، وهي اسم لموضعين: أحدهما بلدة باليمن قديمة، وهي العظمى، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق، وهي هنا صنعاء اليمن، والنسبة إليها صنعاني.

([36]) القِنَّوجي، محمد (2007م) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ص436.

([37]) الشوكاني، البدر الطالع ، ص215.

الله تعالى– المتوفى عام (1211هـ) الذي تولى قضاء صنعاء، وكان كبير رجال الإفتاء والدريس[38].

نشأ الأمام الشوكاني بصنعاء فقرأ القرآن وجوّده على جماعة من مشائخ القراء بصنعاء، وفي أثناء ذلك كان قد حفظ عدة مختصرات في الفقه والنحو والعروض، وآداب البحث وعلوم اللغة، وطالع عدة كتب من كتب التاريخ والأدب، ثم شرع في طلب العلم فدرس على والده وعلى البارزين من العلماء في عصره في مختلف العلوم الدينية واللسانية والعقلية والرياضية والفلكية [39].

يقول عنه العلامة عبد الحي الكتاني: "هو الإمام خاتمة محدثي المشرق وأثريه، العلامة النظار، الجهبذ القاضي محمد بن علي الشوكاني ثم الصنعاني... وقد كان الشوكاني المذكور شامة في وجه القرن المنصرم، وغرة في جبين الدهر، انتهج من مناهج العلم ما عميّ على كثير ممن قبله، وأوتي فيه من طلاقة القلم والزعامة مالم ينطق به قلم غيره، فهو من مفاخر اليمن بل العرب"[40].

وتوفي –رحمه الله– في شهر جمادي الآخر عام (1250هـ) عن (76) عاماً؛ ودفن بصنعاء، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته[41].

التعريف بالتفسير:

(فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب ،دمشق – بيروت، ط1، 1414هـ.

ويقع هذا التفسير في خمسة أجزاء مجلدة من الحجم المتوسط، والشوكاني نفسه هو من سمّاه بهذا الاسم في بعض كتبه.

وقد بدأ الإمام الشوكانيفي تأليف تفسيره سنة (1223هـ) وعمره حينئذ (49) عاماً، وقد ذكر في كتابه (البدر الطالع) عندما ترجم لنفسه، حيث قال: "وهو الآن يجمع تفسيراً لكتاب الله جامعاً بين الرواية والدراية؛ يرجو الله أن يعين على تمامه بمنّه وفضله"[42].

وقد فرغ منه في شهر رجب عام (1229هـ)؛ فاستغرق تصنيفه ست سنوات تقريباً وهو يصنفه، ويصنف معه غيره من الكتب كالبدر الطالع، بقول المفسر: "وإلى هنا انتهى هذا التفسير المبارك بقلم مؤلفه محمد بن علي بن محمد الشوكاني، غفر الله له ذنوبه، وكان الفراغ منه في ضحوة يوم السبت لعله الثامن والعشرون من شهر رجب، أحد شهور سنة تسع وعشرين بعد مائتين وألف سنة من الهجرة النبوية"[43].

المنهج العام للمؤلف والجانب التغليبي على منهج تفسيره:

لقد كانت للشوكاني طريقته الخاصة في التفسير، ذكرها في مقدمة كتابه ويمكن إجمالها بالآتي:

– الجمع بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور، لذا أطلق عليه اسم (فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، فمن أهم النقاط التي ارتكز عليها تفسيره ما يلي:

1– اعتماده على المفسرين السابقين ومقارنته بين آرائهم مع الترجيح بينها أحياناً.

2– بيّن أنه التزم منهجاً موفقاً في التفسير بالمأثور عن الصحابة، فقد كان لا ينتقل إليه إلا إذا أعوزه التفسير عن رسول الله ﷺ بل كان يقارن بين أقوال الصحابة والتابعين ثم يختار منها ما تؤيده الأدلة والقرائن.

3– اعتنائه بالقواعد العامة للتفسير، بالإضافة إلى القراءات المتواترة والشاذة وتوجيهه لتلك القراءات والحكم عليها، وذكره فضائل السور وأسباب نزولها، والمكي

([38]) المرجع السابق، ص482– 483.

([39]) الشوكاني (1986م) ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) تحقيق، العمري، حسين، ط2، دار الفكر، دمشق، ص18– 19.

([40]) الكتاني، محمد (1982م) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ،ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص443.

([41]) الزركلي، الأعلام ، ص298.

([42]) الشوكاني، محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص222.

([43]) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص644.

والمدني، والنسخ، والمطلق والمقيد، والمناسبات بين الآيات مع رفضه للتكلف في علم المناسبات، وذكره للغة ومشتقاتها، والمعنى الإجمالي.

4- وضعه للتفسير بالمأثور جانباً مستقلاً، حيث يختم بعد ذلك بذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بتفسير الآية أو الآيات ليجمع بين الدراية والرواية، وأوضح فيه أن هذا القسم من التفسير هو الأساس الذي يرتكز عليه المفسر[44].

وأما الجانب التغليبي على منهج تفسيره فهو جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وهذا ما بينه في مقدمة تفسيره.

القيمة العلمية لهذا التفسير:

يُعَدُّ تفسير (فتح القدير) "خلاصة المدرسة السلفية في فن التفسير، وخاتمة التفسير بالأثر"[45]، وقد وُصفَ هذا التفسير بأنه من روائع كتب التفسير، ومن أصولها الجامعة، ويعتبر مرجعاً أساسياً في بابه ذلك؛ لأنه اشتمل على التفسير بالرواية الذي يعتمد على مصادر التفسير المأثور الأربعة (تفسير القرآن بالقرآن – تفسير القرآن بالسنة – تفسير القرآن بأقوال الصحابة – تفسير القرآن بأقوال التابعين) كما اشتمل هذا التفسير أيضاً على التفسير بالرأي وهو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر باللغة العربية، ووقوفه على أسباب النزول، ودرايته بالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، وغير ذلك من علوم القرآن، إلى جانب رجوعة إلى التفسير بالمأثور الذي يُعدُّ المرجع الأساسي للمفسر.

قال عنه الدكتور حسين الذهبي: "يعتبر هذا التفسير أصلاً من أصول التفسير ومرجعاً مهماً من مراجعه؛ لأنه بيّن التفسير بالدراية والتفسير بالرواية؛ فأجاد في باب الدراية، وتوسع في باب الرواية"[46].

وقد أثنى عليه الإمام الشوكاني نفسُه في مقدمته فقال: "فهذا التفسير وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فوائد وقواعد شوارد..."[47].

والمتأمل في هذا السِّفر العظيم يلحظ بروز شخصية الإمام الشوكاني، مما أعطى الكتاب منحة القبول لدى الدارسين له، فقد برز هذا العلم بحراً في مختلف، العلوم التي يحتاجها المفسر وخاصة اطلاعه الواسع على التفاسير المتقدمة؛ فدبّج تفسيره بكل نفيس سبقه، مع زيادة مسلك التجديد، ونقد التقليد، مما جعل للكتاب قيمته العلمية التي لا تخفى على مطلع عليه.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة المختصرة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها:

أولاً: النتائج:

_ أن أبرز المفسرين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري هم: ابن عجيبة صاحب كتاب: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المتوفى سنة (1224هـ)، وكذلك المفسر محمد ثناء الله المظهري صاحب كتاب: (التفسير المظهري) المتوفى سنة (1225هـ)، وكذلك الإمام الشوكاني صاحب كتاب: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) المتوفى: (1250هـ).

_أن الجانب التغليبي على منهج تفسير ابن عجيبة هوالتفسير الصوفي الإشاري الذي لا يغفل التفسير بالظاهر.

_أن الجانب التغليبي على منهج تفسير المظهري هو جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الإشاري.

([44]) الغماري، محمد (1980م) الإمام الشوكاني مفسراً (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ص111.

([45]) المرجع السابق، ص13.

([46]) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص211.

([47]) الشوكاني، فتح القدير، ص15.

– _أن الجانب التغليبي على منهج تفسير الشوكاني هو جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وهذا ما بينه في مقدمة تفسيره.

ثانياً: التوصيات:

_ضرورة توجيه طلبة العلم والباحثين من أهل الدراسات إلى اتخاذ كتاب الله ميداناً لبحوثهم ودراساتهم وإقامة دراسات تفسيرية لكل عصر من العصور وإبراز معالمها وتمييز صحيحها من سقيمها وإظهار ذلك للأمة.

_ توجيه الباحثين إلى دراسة مناهج المفسرين لكل عصر، وإبراز جوانب التميز سلباً وإيجاباً في تلك المناهج.

هذا ما ظهر للباحث فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني والشيطان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. الفيروزآبادى، محمد (2005م) القاموس المحيط، تحقيق: محمد العرقسُوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
2. النيسابوري، أحمد (2002م) الكشف والبيان، تحقيق: ابن عشور، ط1، أبي محمد ، ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
3. الزركشي، بدر الدين(1957م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان.
4. مختار، أحمد (1957م) معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط1، عالم الكتب.
5. الحربي، حسين (2010م) مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ط1 ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
6. الداوودي، محمد، طبقات المفسرين للداوودي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.
7. الحربي، حسين، مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، د.ن.
8. الطيار، مساعد (1427ه) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
9. البخاري، محمد (1422ه) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط1، حديث رقم 71، ج1، دار طوق النجاة.
10. ابن ماجه، محمد (2009م) سنن ابن ماجه، تحقيق: مجموعة مؤلفين، ط1، ج1، حديث رقم 260، دار الرسالة العالمية .
11. الخطيب، أحمد (1403ه) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان،ج2 ، مكتبة المعارف، الرياض.
12. السيوطي، عبد الرحمن (1974م) الإتقان في علوم القرآن، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. أحمد، محمد (2005م) نفحات من علوم القرآن، ط2، دار السلام، القاهرة .
14. القرطبي، محمد (1964م) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تحقيق: البردوني أحمد، ط2، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة.
15. القطان مناع (2000م) مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف.
16. خلف، عبد الجواد(د.ت) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي، القاهرة.
17. عبد الله، محمد (1980م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.
18. الزركلي، خير الدين (2002م) الأعلام، ط15، ج6، دار العلم للملايين.
19. نويهض، عادل (1988م) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، ج1، بيروت، لبنان.

20. ابن حبان، محمد (1993م) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط2، ج1، تحقيق: الأرنؤوط، شعيب، حديث رقم/ 2989، مؤسسة الرسالة، بيروت .
21. ابن عجيبة، أحمد (2002م) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد القرشي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
22. الكعبي، محمد (2002م) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، ط1، ج1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
23. علي، محمد (2002م) منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد المسير، ط1، ج2، دار النهضة، مصر .
24. الطالبي، عبد الحي (1999م) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ط1، ج7، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
25. القاسمي، عُزَيْر (2002م) منهج" الباني بتي" في تفسيره "التفسير المظهري" (رسالة الدكتوراه)، ج1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية.
26. آفريدي، محمد (2011م) لمحات التربية العقدية في تفسير المظهري الفاضي ثناء الله الباني بتي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
27. الشوكاني، محمد(د.ت) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، دار المعرفة، بيروت.
28. القِنَّوجي، محمد (2007م) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
29. الشوكاني (1986م) ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) تحقيق، العمري، حسين، ط2، دار الفكر، دمشق.
30. الكتاني، محمد (1982م) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس،ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
31. الغماري، محمد (1980م) الإمام الشوكاني مفسراً (رسالة دكتوراة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.